

فضل
العلم والعلماء
وذم الجهل والجهلاء



الشيخ سمد الشهاوي

فضل العلم والعلماء وذم الجهل والجهلاء

الشيخ سعد الشهاوي

فضل العلم والعلماء وذم الجهل والجهلاء

الحمدُ لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه عالم ما يُسرُّه العبد وما يخفيه أحصى عليه خطرات فكره وكلمات فيه من توكل عليه كفاه ووجد كفايته خيرا من توقيه ومن تواضع له رفعه وزاد بقدر تواضعه في ترقيه أحمدته سبحانه وأتوب إليه وأستغفره وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له خالق كل شيء وهاديه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله معلم الإيمان وداعيه يا سيدي

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى	وفعلت ما لا تفعل الكرماء
وإذا عفوت فقادراً ومقــــــدرأ	لا يستهين بعفوك الجهــــــــــــــــلاء
وإذا رحمت فأ نــــــــــــت أم أو أب	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبــــــــــــــــة	للحق لا ضغن ولا بغضــــــــــــــــاء
وإذا رضيت فذاك في مرضا تــــــــــــــــة	ورضى الكثير تحلم وريــــــــــــــــاء
وإذا خطبت فللمنابر هــــــــــــــــة	ترعو الندى وللقلوب بكاء

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن حمدت في الإسلام سيرته ومساغيه وسلم تسليماً كثيراً
أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى والتمسوا من العمل ما يحبه ويرضيه وسارعوا إلى مغفرته ورحمته فالمؤمن من يرجو الله ويتقيه ولا تتبعوا حُطواتِ الشيطان فإنه يضل من اتبعه ويغويه ويأمره بالفحشاء والمنكر وإلى طريق الجحيم يهديه

فضل العلم والعلماء

عباد الله: إن فضائل العلم أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تُنكر، وكلُّ علمٍ نافع في الدنيا والآخرة فهو مطلوب شرعاً. اهتم الإسلام بقيمة العلم أيما اهتمام، ولقد بلغت عناية الله عز وجل بنا لرفع الجهل عنا أن كان أول ما نزل من الوحي على نبينا أعظم كلمة هبط بها جبريل هي قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (العلق: 1)

إن أول كلمة نزلت على قلب سيد البشر، هي كلمة: اقرأ

يكفينا فخرا أن أول كلمة نزلت على قلب سيد البشر، هي كلمة: اقرأ، وإن أول خمس آيات نزلت كلها تدور حول العلم والقراءة وأدواتها، قال تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: 1-5]، وفي هذا إشارة إلى أهمية العمل والتعليم في الإسلام. صلى الله عليه وسلم لأصحابه وانطلقت بعد ذلك لتصبح شعارا للمسلمين ليكونوا حملة المشعل، مشعل العلم الهادي

ولم يقتصر اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالحث على تعليم الإسلام، وتعلم أحكامه، وإنما أولى اهتمامه كذلك بتعليم الصحابة العلوم النافعة، فحرص على تعليمهم القراءة والكتابة، وتعليمهم الحرف والصناعات، وكذلك تكليفه صلى الله عليه وسلم بوظيفة تعليم الكتابة عددا من الصحابة الذين كانوا يحسنونها، كعبد الله بن سعيد بن العاص، فقد كلفه صلى الله عليه وسلم بتعليمها الناس في المدينة أول قدومه صلى الله عليه وسلم إليها، وتولى عبادة بن الصامت تعليم جماعة من أهل الصفة الكتابة والقرآن، فعنه رضي الله عنه قال: «علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن».

وقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- أول من سعى لمحو الأمية حين جعل فداء كل أسير من أسرى بدر ممن يحسنون فن القراءة والكتابة أن يعلم كل منهم عشرة من المسلمين من أبناء الصحابة، القراءة والكتابة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة».

ولم يقتصر اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالحث على تعليم اللغة العربية فحسب؛ بل أمر بتعلم اللغات الأخرى؛ وثبت أنه أمر زيد بن ثابت بتعلم اللغة السريانية ليتولى أعمال الترجمة والرد على الرسائل، وروي أنه تعلم بأمر منه صلى الله عليه وسلم العبرية والفارسية والرومية وغيرها، فعنه رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم» (رواه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح)، فأصبح الفتى زيد بن ثابت تدرجمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبحت اللغة سلاحا له يدافع به عن الإسلام والمسلمين، وكما قيل: (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم)

ولم تقتصر عنايته صلى الله عليه وسلم بتعليم هذه الفنون والعلوم للرجال فحسب، إنما اعتنى أيضا بتعليم النساء العلم والكتابة، فعن الشفاء بنت عبد الله قالت: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلمين هذه النملة كما علمتها الكتابة» (أبوداود).

من فضائل العلم: أن الله عز وجل لم يأمر نبيه بالازدياد إلا منه:

فقال: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه:114]. وما نعلم أن الله عز وجل أمر نبيه أن يزداد من شيء إلا من العلم، فدل على أنه أفضل شيء؛ لأن الله عز وجل لا يختار لنبيه إلا الأكمل والأفضل وسيدنا موسى عليه السلام - يلتبس من العبد الصالح مرافقته ليتعلم منه، قال تعالى: (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) [الكهف:66]

وشهد الله تعالى لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيرا كثيرا فقال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } البقرة: 269 .

قال ابن قتيبة والجمهور: الحكمة إصابة الحق والعمل به، وهي العلم النافع، والعمل الصالح مفتاح دار السعادة لابن القيم (52/1)

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله إذا أراد بعبد خيرا رزقه العلم النافع، في الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".

العلم ميراث الأنبياء صلى الله عليه وسلم:

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَدُورُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

وعن أبي هريرة، أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: «يا أهل السوق، ما أعجزكم» قالوا: وما ذاك هريرة؟ قال: «ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقسم، وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون

قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: « فِي الْمَسْجِدِ » فَخَرَجُوا سِرَاعًا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا، فَقَالَ « مَا لَكُمْ؟ » قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقَسِّمُ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ » قَالُوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَسْتَدَاكِرُونَ الْحَلَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: « وَيُحَكِّمُ، فَذَلِكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » أخرج الطبراني في الأوسط (114/2) رقم (1429)

من فضائل العلم أن الله عز وجل افتتح قصة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام في سورة النمل بالعلم بقوله:

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ [النمل: 15-17]، فذكر الله عز وجل في افتتاح القصة أنه فضل سيدنا سليمان عليه السلام بشيئين: الشيء الأول: العلم. الشيء الثاني: الملك. لكنه قدم العلم على الملك؛ لأن العلم هو رأس كل خير، فلا بد أن ينضاف إلى الملك العلم، وإلا صار شهوةً وأداةً للظالمين والظلم والطغيان، فافتتح الله عز وجل منته على داود وسليمان بالعلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه

ومهما كان مقام الإنسان عاليًا، ومنصبه ساميًا، فإنه لا يستغني عن التعليم، فهذا نبي الله داود -عليه السلام- مع حصوله على الملك والنبوة لم يستغن عن تعليم الله إياه، قال الله تعالى: (وَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) [البقرة: 251].

ومن فضل العلم وشرفه أن طلب العلم طريق إلى الجنة: فَعَنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

المَلَائِكَةُ لَتَضَعُ أجنحتَها لِطالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ فَعَنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: " وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَها لِطالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

الْعِلْمُ يَبْقَى أَثَرُهُ لِلإِنْسَانِ حَيًّا وَمَيِّتًا ومن فضل العلم: أن صاحبه يجري عليه بعد موته ثواب ما نشره من العلم، فينال مثل أجر كل من انتفع بعلمه في حياته وبعد مماته، فَيَخْلُدُ ذِكْرُهُ عِنْدَ الْوَرَى وَإِنْ كَانَ تَحْتَ التُّرَابِ مَدْفُونًا ويدل على هذا:

قول الله عزوجل: (إنا نحن نحیی الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) —س 12. ومعنى قوله تعالى (إنا نحن نحیی الموتى) أي يوم القيامة، ومعنى (ونكتب ما قدموا) أي ما قدموه في حياتهم الدنيا من الأعمال، ومعنى (وآثارهم) أي ما خلفوه من الأثر بعد موتهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كالصدقة الجارية والعلم النافع يجري على صاحبها ثوابها، وكالبدعة والضلالة يجري على صاحبها وزرها ما عمل بها من **بعلهم** وذكّر ابن كثير رحمه الله قولاً ثانياً في (وآثارهم) —س 12: وأن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية. وهذا القول وإن كانت تحتمله اللغة إلا أن القول الأول هو الراجح إن شاء الله. لورود قوله تعالى (وآثارهم) في مقابل قوله تعالى (ما قدموا) فهذا ما عملوه بأنفسهم في حياتهم، وذاك ما خلفوه من الأثر بعد مماتهم.

وعن أبي مسعود الأنصاري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من دلّ على خيرٍ فله مثل أجرِ فاعله) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، حديث رقم (3600).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) رواه مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة وسنة سيئة ومن دعا إلى هدى، حديث رقم (4938)

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ". رواه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الميت من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (3169)

ورواه ابن ماجه عنه مرفوعاً: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته

وحياته، يلحُّهُ من بعد موته) رواه ابن ماجة: في المقدمة في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ثواب معلم الناس الخير حديث رقم (240).

فانظر إلى عِظَم هذا الثواب، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يناله مثل ثواب كل من عمل الخير من أمته، والصحابة رضي الله عنهم كذلك ينالهم، إذ هم الذين حملوا إلينا هذا العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وبلغوه لنا عبر الأجيال. ثم العلماء الأعلام من بعدهم وإلى يوم القيامة ينال كل منهم مثل ثواب من انتفع بعلمهم وكتبهم. الجامع في طلب العلم الشريف: للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، المجلد الأول ص 27 وما بعدها.

وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أموراً سبعةً يجري ثوابها على الإنسان في قبره بعد ما يموت ، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((: سبع يجري للبعد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علّم علماً، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته)) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم: 3596].

ولله در القائل حين قال:

"ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعيش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

فَيَا لَهَا مِنْ مَرْتَبَةٍ مَا أَعْلَاهَا، وَمَنْقَبَةٍ مَا أَجْلَاهَا وَأَسْنَاهَا: أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ مَشْغُولًا بِبَعْضِ أَشْغَالِهِ، أَوْ فِي قَبْرِهِ قَدْ صَارَ أَشْلَاءً مُتَمَرِّقَةً، وَأَوْصَالًا مُتَفَرِّقَةً، وَصُحُفٌ حَسَنَاتِهِ مُتَزَايِدَةٌ يُمْلِي فِيهَا الْحَسَنَاتِ كُلَّ وَقْتٍ، وَأَعْمَالُ الْخَيْرِ مُهْدَاةٌ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، تِلْكَ وَاللَّهِ الْمَكَارِمُ وَالْغَنَائِمُ، وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَعَلَيْهِ يَحْسُدُ الْحَاسِدُونَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

من فضائل العلماء:

من فضائل العلماء استشهد الله أهل العلم على أشرف مشهود به وهو التوحيد، وقَرَنَ شهادتهم بشهادته ملائكته، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، فَبَدَأَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ، وَتَنَى بِمَلَائِكَتِهِ الْمُسَبِّحَةِ بِقُدْسِهِ، وَتَلَّتْ بِأَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَفَاهُمْ ذَلِكَ شَرَفًا وَجَلَالَةً وَنُبْلًا.

وفي تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى وغيره قال: "لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام -الحبر العالم من علماء اليهود-، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان! فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعته، فقالا له: أنت محمد؟ قال: "نعم" قالوا: وأنت أحمد؟ قال: "نعم" قالوا: نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنة بك وصدقناك، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلاني" فقالوا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران: 18] فأسلم الرجلان، وصدقا

برسول الله صلى الله عليه وسلم
وَمَكَانَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ

أهل العلم والإيمان يَشْهَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ الْكُفَّارِ فَقَالَ تَعَالَى: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } - الروم: 55-56.

والعلماء هم الذين يستحقون أن يرفعهم الله - عز وجل

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة: 11]، والمعنى من الآية أن الله تعالى يرفع مكانة المؤمنين لإيمانهم، وأما الذين أوتوا العلم فإنه يرفعهم فوق المؤمنين درجات لإيمانهم وعلمهم.

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: "كذا هو العلم يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرة".

وقال أبو مسلم الخولاني: العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم

تحيروا

وَرَوَى عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ: "أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بَعْثَانِ وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنُ أَبِي زَيْدٍ، قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ؟ قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَحْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قال الشافعي -رحمه الله-: "من تعلم القرآن عظمت قيمته"

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: "يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة، فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء" رحمه الله -: "لولا العلماء لصار الناس كالبهائم".

وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: "أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء".
وقال أيضًا: لم يُعْطَ أَحَدٌ في الدنيا شيئًا أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقهاء، فقيل: عمّن هذا؟ قال: عن الفقهاء كلهم (تذكرة السامع والمتكلم)

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: العالم أعظم أحرًا من الصائم القائم الغازي في سبيل الله (الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (347)

قال معاذ بن جبل - رضي الله عنه -: "تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسييح".

ويقول الشاعر:

العلم يرفع بيتا لا عماد له = والجهل يهدم بيت العز والشرف

وَالْعُلَمَاءُ هُمْ أَهْلُ الْخَشْيَةِ، حَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ

قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فَاطِرٍ: 28] وَهَذَا حَصْرٌ لِحَشْيَتِهِ فِي أُولِي الْعِلْمِ

وَفِي آيَةِ الْأُخْرَى: (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) [الْبَيِّنَاتِ: 8] وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَ خَشْيَتِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ، فَدَلَّ ذَلِكَ -بِمَجْمُوعِ الْآيَتَيْنِ- عَلَى أَنَّ هَذَا الْجَزَاءَ الْمَذْكُورَ هُوَ لِلْعُلَمَاءِ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالْإِغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا".

وَأَهْلُ الْعِلْمِ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ خُشُوعًا إِذَا سَمِعُوا آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى تُنْتَلَى

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْبِكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) [الإسراء: 109].

وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ وَقَلُوبُهُمْ مُسْتَوْدَعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيُعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ فِي نُصُوصِهِمَا تَدْبِيرًا وَفِيهَا هِيَ (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) [العنكبوت: 49].

العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَمُوتُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عالم والآخر عابد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضل علي أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى التَّمَلَّةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ". أخرجه الترمذي في سننه - الذبائح - أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة - حديث رقم 2678 وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث رقم 2685، وصحيح الجامع حديث رقم 1838 (0).

ولذلك يفرح إبليس بموت العلماء

الشیطان یفرح بموت العلماء أكثر مما یفرح بموت العباد وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: " إِنَّ قَالُوا لِإِبْلِيسَ: يَا سَيِّدَنَا مَا لَنَا نَدْرَاكَ تَنْفَرِحُ بِمَوْتِ الْعَالِمِ مَا لَا تَنْفَرِحُ بِمَوْتِ الْعَابِدِ؟ فَقَالَ: انْطَلِقُوا فَانْطَلِقُوا يُصَلِّي فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَكَ، فَانصَرَفَ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: هَلْ يَقْدِرُ رَبُّكَ أَنْ يَجْعَلَ الدُّنْيَا فِي جَوْفِ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ؟ كَفَرَ فِي سَاعَةٍ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَالِمٍ فِي حَلَقَةٍ يُضَاحِكُ أَصْحَابَهُ وَيُحَدِّثُهُمْ، فَقَالَ:

نَسَأَلُكَ، فَقَالَ: سَلْ، فَقَالَ: هَلْ يَفْقِدُ رَبُّكَ أَنْ يَجْعَلَ الدُّنْيَا فِي جَوْفِ بَيْضَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَكَيْفَ؟
لِذَلِكَ إِذَا أَرَادَ: كُنْ فَيَكُونُ، قَالَ إِبْنُ سِينٍ: أَلْتَرَوْنَ ذَلِكَ؟ لَا يَعْدُو نَفْسَهُ وَهَذَا-أَيُّ الْعَالَمِ- يُفْسِدُ عَلَيَّ عَالَمًا
جامع بيان العلم(127/1 رقم 127)

وروي أن جنود الشيطان جاءوا إليه فقالوا له: يا سيدنا نراك تفرح بموت الواحد من العلماء، ولا تفرح بموت
آلاف العباد؟! فهذا العابد الذي يعبد الله ليلاً ونهاراً يسبح ويهلل ويصوم ويتصدق، لا تفرح بموت الألف منهم
فرحك بموت الواحد من العلماء. قال: نعم أنا أدلكم على هذا، فذهب إلى عابد فقال له: يا أيها الشيخ هل يقدر
الله أن يجعل السماوات في جوف بيضة؟ قال العابد: لا. وهذا جهل كبير. ثم ذهب إلى العالم وقال له: هل يقدر
الله أن يجعل السماوات في بيضة؟ قال العالم: نعم، قال: كيف؟ قال: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن
فيكون، فإذا قال للسماوات: كوني في جوف بيضة كانت، فقال الشيطان لجنوده: انظروا الفرق بين هذا وهذا.
انظروا كيف كذب الأول بجهله، وكيف اعتصم الثاني بعلمه، وكيف اهتدى بكلمته أناس كثيرون.

فالذي يعبد الله على علم لا يُخشى عليه من وقوعه في حبال الشيطان، وتكون عبادته مقبولة لأنها مكتملة الشروط
والأركان، وإلا كانت باطلة.

وأما عن كيفية عبادة الله على علم وليس على جهل؛ فيكون ذلك بأن يتعلم المسلم ما يجب عليه فعله في كل
عبادة، فيعرف الصلاة الصحيحة من غيرها، وكذا أحكام الطهارة وصيام رمضان، وإن كان من أهل الأموال يعرف
حكم الزكاة وما يجب عليه في ماله من حق، وإن كان من أهل الاستطاعة على الحج فيعرف أن الحج واجب عليه
ثم يعرف كيف يحج حجاجاً صحيحاً متقبلاً، وهكذا يلزمه أن يتعلم أحكام الحرفة التي يحترفها، فيعرف الحلال
والحرام وينبغي له أن يجتهد في تعلم ما زاد على ذلك، وإذا لم يستطع المسلم التعلم فيسأل أهل العلم، ويستمع
إلى دروسهم ومحاضراتهم حتى يعبد الله على بصيرة وتكون عبادته صحيحة مقبولة، وقبل كل هذا يتعرف على
وحدانية الله وأسمائه وصفاته وأركان الإيمان، وهذا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، فعن التابعي الجليل أبي
عبد الرحمن السلمي قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما
فيهن من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً".

قارن بين ذلك وبين حالنا اليوم، فكم من أناس في كسبهم للأموال وسعيهم علي الرزق يلتمسون طرقاً غير
معظمها من الربا والسحت وأكل أموال الناس بالباطل والنصب في الأسواق وإتباع أساليب اللؤم والخداع في البيع

والشراء وغير ذلك من طرق أكل الحرام، وهو يعتقد أن هذه الطرق ليس فيها ما يخالف الدين والشرع ويتبع طرق ملتوية في تحليل مثل هذه الطرق فيظل طوال عمره يأكل الحرام وهو لا يدري.

وَكُلَّمَا بَعُدَ النَّاسُ عَن زَمَنِ الْوَحْيِ قَلَّ فِيهِمُ الْعِلْمُ، وَزَادَ فِيهِمُ الْجَهْلُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ: فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ: الْقَتْلُ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ. قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ الْقَتْلُ" (متفق عليه)، لذلك كان الجهل من علامات الساعة

وَانْتِشَارُ الْجَهْلِ بِيَدِي اللَّهِ -تَعَالَى- مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمُؤَذِّنَةِ بِقُرْبِ قِيَامِهَا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيَشْرَبَ الْحَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزَّانَا" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي لَفْظِ اللَّبْحَارِيِّ "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزَّانَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْحَمْرِ" وارتفاع العلم إنما يكون بموت العلماء؛ حيث يموت علمهم معهم؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفَفَ تَدَوَّا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وما أكثر الجهلاء الذين يتصدرون للفتوى بغير علم في هذه الأيام.

والمراد بقبض العلم موت العلماء، وذهاب الفضلاء والفقهاء؛ فقد جاء في تفسير قوله -تعالى-: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [الرعد:41]

جاء في تفسيرها قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "خرابها بموت علمائها وفقهائها" وقال لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يندرس، حتى يكثر أهل الجهل، ويرفع العلم. وكذا قال مجاهد أيضاً: "خرابها بموت العلماء". وقال عطاء -رحمه الله- قال: "هو موت العلماء، وذهاب الفضلاء، وفقهاء الأرض وخيار أهلها.

لقد منع الله - سبحانه - المساواة بين العالم والجاهل؛ لما يختص به العالم من فضيلة العلم ونور المعرفة: امتدح الله - تعالى - العلم والعلماء، وذم الجهل وأهله، وأخبر أن أهل العلم وأهل الجهل لا يستويان أبداً (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) [الزمر: 9].

وقد نفي الله تعالى التسوية بين أهل العلم وبين غيرهم كما نفي التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار فقال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) [الزمر: 9]. كما قال تعالى: (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) [الحشر: 20] وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم. وجعل سبحانه وتعالى صاحب الجهل بمنزلة الأعمى الذين لا يبصر فقال عز وجل (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) [الرعد: 19] فما ثم إلا مبصر أو أعمى، وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صم بكم عمي في غير موضع من كتابه.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم دون القبور قبور

من فضائل العلم أن الله سبحانه أباح لنا الأكل مما صاده الكلب المعلم دون غيره مما لم يعلم فكيف أن البهائم العجماوات تتفاضل بالعلم، فكيف الحال ببني آدم؟! فيكفي العلم شرفاً: أن الله عز وجل أباح لك أن تأكل صيد الكلب المعلم، ونهاك أن تأكل صيد الكلب الجاهل: قال تعالى (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلموننهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب) [المائدة: 4]، فأنت لو كنت صياداً تصطاد الطيور، ومعك كلب معلم، علمته أن يعرف الطير الذي اصطدته أنت بعلامة الرصاصة التي تكون في الصيد، فيذهب الكلب فيأتيك بهذا الصيد

وفي حديث عدي بن حاتم في الصحيحين قال: (يا رسول الله! لو أني أرسلت كلبك المعلم -أي: الذي علمته أنا- فأتى بالصيد. أكل؟ قال: كل. قال: وإن قتلها؟ قال: وإن قتلها) أي: إن نزل الصيد وفيه رمق، ولم يمت من الرصاص، فأمسكه الكلب وقتله، فالذي قتلها إذاً هو الكلب وليست الرصاصة، فهو يسأل النبي عليه الصلاة والسلام: (وإن قتلها؟ -في حالة أن كلب الصيد قتلها- أكلها؟ قال: وإن قتلها). ولكنه عليه الصلاة والسلام اشترط شرطاً: وهو ألا يكون معه كلب غير معلم، فأباح لك أن تأكل ما أمسك عليك الكلب المعلم، ونهاك أن تأكل ما أمسك عليك غيره، فصار الكلب المعلم مفضلاً بالعلم.

فالعلم شرف لا قدر له، ولا يجهل قدر العلم وفضله إلا الجاهلون فعن عليّ -رضي الله عنه- قال: "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمّاً أن يتبرأ منه من هو فيه".

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "لا شيء يعدل العلم لمن صحّت نيته، قيل له: وكيف تصح نيته؟! قال: أن ينوي به رفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن غيره".

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: "لم يعط أحد في الدنيا شيئاً أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقّه".

وقال وهب بن منبه -رحمه الله-: "يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دينياً، والعز وإن كان مهيناً، والقرب وإن كان قصياً، والغنى وإن كان فقيراً، والمهابة وإن كان وضيعاً".

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذله فربة، وتعليمه من لا يعلمه صدقة".

قال عبد الملك بن مروان لبيته: "يا بني، تعلموا العلم؛ فإن كنتم سادة ففقتم، وإن كنتم وسطاً سدتتم، وإن كنتم سوقة عشتتم".

وقال القائل:

اصبر على مر الجفا من معلم *** فإن رسوب العلم في نفراته
فمن لم يذق مرّ التعلم ساعة *** تجرّع ذلّ الجهل طول حياته
ومن فاتته التعليم حال شبابه *** فكبر عليه أربعاً لوفاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى *** إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته.

والجهل بالله -تعالى- وبدينه يُؤدّي إلى الشرك به؛ ولذا وصف سيدنا نوح وهود ولوط -عليهم السلام- أقوامهم به لما رفضوا دعواتهم، وأصرّوا على شركهم ومعصيتهم لله -تعالى- فقال نوح -عليه السلام-: (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرينى إلا على الله وما أنا بطارِد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قومًا تجهلون) [هود: 29].

وقال هود -عليه السلام- لقومه (إنما أعلم عند الله وأبليغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوماً تجهلون) [الأحقاف: 23].

وَقَالَ لُوطٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِقَوْمِهِ (أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [النمل: 55].

وَلَمَّا طَلَبْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ مِثْلَ مَا لِلْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَصْنَامِ أَنْكَرَ مُوسَى عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْحَامِلَ لَهُمْ عَلَى طَلِبِهِمْ هَذَا هُوَ جَهْلُهُمْ بِاللَّهِ -تَعَالَى- (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [الأعراف: 138].

وَمَعَ أَنَّ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ -تَعَالَى- قَدْ عَصِمُوا مِنَ الْجَهْلِ؛ لِكَمَالِ عُقُولِهِمْ بِالْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ -تَعَالَى-؛ فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- وَعَظْمُهُمْ أَنْ يَكُونُوا فِي عِدَادِ الْجَاهِلِينَ، وَهُمْ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- قَدْ تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ -تَعَالَى- مِنَ الْجَهْلِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا هِدَايَةٌ لِلْبَشَرِ أَنْ يَتَّقَتُوا أَتْرَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-.

سَأَلَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- رَبَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُنَجِّيَ ابْنَهُ الْمُشْرِكَ مِنَ الطُّوفَانِ فَكَانَ وَحْيُ اللَّهِ -تَعَالَى- لَهُ (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [هود: 46]، فَاقْبَلَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَوْعِظَةَ اللَّهِ -تَعَالَى- لَهُ، وَاسْتَعَاذَ بِهِ -سُبْحَانَهُ- مِنْ سُلوِكِ سُبُلِ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [هود: 47].

وَقَالَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [البقرة: 67].

وَنَبَيْنَا مُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمَّا أَعْرَضَ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَطَالَبُوهُ بِالْآيَاتِ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ وَعَظَمَهُ رَبُّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَبَيَّنَّ لَهُ أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ- وَلَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَحَدَّرَهُ مِنَ الْجَهْلِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [الأَنْعَامُ: 35] وَأَمْرَهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف: 199].

وَصَفَ اللَّهُ -تَعَالَى الْجُهْلَاءَ بِالْعَمَى وَالصَّمَمِ وَنَفَى عَنْهُمْ صِفَةَ الْعَقْلِ

وَمَنْ حَالَ جَهْلُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُلُوغِ الْحَقِّ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ -تَعَالَى- الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ - فَقَدْ عَطَلَ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- مِنْ وَسَائِلِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ؛ وَلِذَا وَصَفَ اللَّهُ -تَعَالَى- مَنْ هَذِهِ حَالُهُم بِالْعَمَى وَالصَّمَمِ وَنَفَى عَنْهُمْ صِفَةَ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّهَمْ لَمْ يَعْقِلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يُبْصِرُوهُ وَلَمْ يَسْمَعُوهُ، فَهَمْ شَرُّ الْخَلِيقَةِ عِنْدَ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَالآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّسِعُ مَقَامَ كَهَذَا لِعَرَضِهَا كُلِّهَا،

فَفِي سُورَةِ "الْبَقَرَةِ" (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [الْبَقَرَةُ: 171]

وَفِي "الْمَائِدَةِ": (وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [الْمَائِدَةُ: 103]

وَفِي "الْأَنْعَامِ": (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الْأَنْعَامِ: 39]

وَفِي "الْأَنْفَالِ": (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) [الْأَنْفَالِ: 22]

وَفِي "يُونُسَ": (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) [يُونُسَ: 100]

وَفِي "الْحَجِّ": (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الْحَجِّ: 46].

حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهَمْ شَرُّ خَلْقِهِ

لِأَنَّهَمْ عَطَلُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- مِنْ وَسَائِلِ تَحْصِيلِ الْعُلُومِ فَكَفَرُوا بِهِ -سُبْحَانَهُ- وَقَدْ كَانَ أَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ فَلَا يَجْحَدُوهُ، وَيُؤْحَدُوهُ فَلَا يَكْفُرُوهُ؛ فَإِنَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهَمْ شَرُّ خَلْقِهِ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) [الْبَيِّنَاتِ: 6].

وَقَدَرَهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ -تَعَالَى- -أَقْلُ مِنْ قَدْرِ الْأَنْعَامِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ) [الْأَعْرَافِ: 179]

وَفِي آيَةِ أُخْرَى (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الْفُرْقَانِ: 44].

وجوب العمل بالعلم

إن ارتباط العلم بالعمل قضية كبرى، ومسألة جوهرية في حياة العلماء وطلاب العلم، فإن العمل هو المقصود الأعظم من العلم، وبدونه لا قيمة للعلم، ولا فائدة من ورائه. فالعلم إن لم يترجم إلى عمل فما الفائدة منه، فعلى طالب العلم كما يجد في الطلب أن يجد في العمل، فإنه أولى الناس بقطف ثمرات علمه ومن هنا جاءت نصوص الكتاب والسنة الكثيرة تؤكد وجوب ربط العلم بالعمل، وتحذر من الفصل بينهما، وحاءت الأقوال الكثيرة عن السلف، وأنشد الشعراء ما جادت به قرائحهم حول هذه القضية.

ولقد مدح الله - عز وجل - في كتابه الكريم العاملين بما علموا، قال تعالى: { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } سورة الزمر: 17-18

وقال -تعالى-: "كِتَابٌ لَنُزَلْنَا بِهِ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ" (ص: من الآية 29). قال الحسن: تدبر آياته: اتباعه وبعمله ابن عباس في قوله -تعالى-: "يَسْتَلِمُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ" (البقرة: من الآية 121) يتبعونه حق اتباعه.

وإنَّ كُلَّ صَاحِبِ عِلْمٍ مَسْئُولٌ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟! وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟! وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟! وَعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟!". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (الترمذي 2417 وانظر صحيح الترغيب والترهيب 126/1).

وعن زيد ابن أرقم؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها " رواه مسلم (مسلم 2722).

وذم الله أولئك الذين لا ينتفعون بما يحملونه من علم، ووصف من لم يعمل بعلمه بأنه كالكلب والعياذ بالله قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقُصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [الأعراف: 175-176]

وشبههم - عز وجل - بالحمار الذي يحمل أسفارا لا يعرف قيمتها، فضلا عن جهله بما تحويه من درر فإن الله قد ذم بهذا اليهود وشبههم بأغبي الحيوان ووصف الله بني إسرائيل بصفة الحمار قال - تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } سورة الجمعة: 5. فقد ذم الله بني إسرائيل بأنهم تعلموا لكنهم لم يعملوا بعلمهم والحمار لا يفهم ولا يعقل ولو حمل الأسفار على ظهره؛ لأن السر فيه أنه حمار

قال سبحانه منكرًا على بني إسرائيل: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (البقرة: 44).

وقال عز وجل: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتََرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ" (آل عمران: 187).

وقال صلى الله عليه وسلم: " مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة التي تضيء للناس وتحرق نفسها " رواه البزار وصححه الألباني (انظر صحيح الترغيب والترهيب 1/128).

قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَدَلُّوْهُ الْمَرْءَ عَلَى فِعْلِهِ *** وَأَنْتَ مَنْسُوبٌ إِلَى مِثْلِهِ

مَنْ ذَمَّ شَيْئًا وَأَتَى مِثْلَهُ *** فَإِنَّمَا يُزِرِّي عَلَى عَقْلِهِ

إِنَّهَا لَخَسَارَةٌ عَلَى الْمُعَلِّمِ أَوْ الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْقَوْلِ سَيِّئَ الْفِعْلِ، كَبِيرًا فِي شَهَادَتِهِ صَغِيرًا فِي عِبَادَتِهِ، يَصِفُ لِلآخَرِينَ الدَّوَاءَ وَهُوَ وَاقِعٌ فِي الدَّاءِ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ:

يَا أَثِيهَا الْمَرْجُلُ الْمَعْلَمُ غَيْرُهُ *** هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى *** كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ

وَنَرَاكَ تُصَلِّحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا *** أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ

فَأَبَدًا بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنِ غِيَّهَا *** فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُهْتَدَى *** بِالْأَقْوَالِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

لَا تَنَّهُ عَنِ الْخُلُقِ وَتَأْتِي مِثْلَهُ *** عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وَقَدْ جَاءَ فِي ذِكْرِ أَوَّلِ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: "وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟! قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، فَفَقِدَ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ". رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِيُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُتَمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيَتَصَرَّفُوا بِهِ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ". رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب من حديث أبي هريرة قال رسول الله: "من تعلم علماً مما يتنغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" (صحيح: {صحيح الترغيب: 100}، رواه أبو داود رقم (2664) في العلم، ورواه ابن ماجه رقم (252) في المقدمة.) يعني ربحها

أَلَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ أَهْلَ الْعِلْمِ مُعَلِّمِينَ وَطُلَّابًا، وَلْيَطْلُبُوهُ لَوَجْهِ اللَّهِ، وَلْيَكُنِ الْمُعَلَّمُونَ قُدْوَةً لَطُلَّابِهِمْ فِي تَطْبِيقِ مَا يَقُولُونَ، وَلْيُرَوْهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ صُورَةً صَادِقَةً لِمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْعِلْمِ، مِنْ إِتْبَاعِ الْقَوْلِ بِالْعَمَلِ، وَالرُّقِيِّ فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ، وَاللِّينِ فِي التَّعَامُلِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْجَفَاءِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ وَاللَّأْوَاءِ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ فِي جَانِبٍ وَالْعَمَلُ فِي جَانِبٍ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَشَدِّ الْمَقْتِ لِلنَّفُوسِ وَتَضْيِيعِ طَرِيقِ التَّوْفِيقِ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ سَفَهُ فِي الرَّأْيِ وَضَعْفٌ فِي الْعَقْلِ

قَالَ سُبْحَانَهُ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" (الصف: 2، 3).

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بحقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون"، وفي رواية: "ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به" رواه ابن أبي الدنيا، وابن حبان، والبيهقي، وصححه الألباني في: (صحيح الترغيب والترهيب) (صحيح الترغيب والترهيب 125، 126/1 .)

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَفْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَحْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَ يَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُم عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)) صحيح البخاري (3267)، وصحيح مسلم (2989) قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: (هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل) - اقتضاء العلم العمل (35-36).

وقال الشافعي: " ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع " تذكرة السامع والمتكلم (ص15) .

وقال بعض السلف: " يا حملة العلم، اعملوا فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، ويخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقاً يباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا يصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى " حاشية تذكرة السامع (ص16-17).

ومن ذلك دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن، وملازمة خشيته سبحانه، قال الإمام أحمد: " أصل العلم الخشية " . وقال الزهري: " إن للعلم غوائل، فمن غوائله أن يترك العمل به حتى يذهب، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه، وهو شر غوائله " - جامع بيان العلم (1 / 107 - 108).

وسئل سفيان الثوري: طلب العلم أحب إليك أو العمل؟ فقال: " إنما يراد العلم للعمل، فلا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم " حلية الأولياء (7/12) .

وَنَاجِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا *** بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ بِنُ مَتَّى

تَفَتْ فَوَادَكَ الْأَيَّامُ فِتْنًا *** وَتَنَحَّتْ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا

وَتَدْعُوكَ الْمَنُونُ دَعَاءَ صَدَقٍ *** أَلَا يَا صَاحِبَ أَنْتَ أَرِيدُ أَنْتَ

فَلَا تَطَّلِ الصَّبَا فِيهِ مَجَالٌ *** وَفَكَّرْ كَمْ صَبِيٍّ قَدْ دَفَنْتَنَا

إِذَا مَا لَمْ يَفِدْكَ الذِّكْرُ شَيْئًا *** فَلَيْتَكَ ثَمَّ لَيْتَكَ مَا ذَكَرْتَا

إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ شَيْئًا *** فَلَيْتَكَ ثَمَّ لَيْتَكَ مَا عَلِمْتَا

وإن ألقاك فهماك في معاوٍ *** فليتك ثم ليتك ما فهمتا

فإن العلوم لا تنفع إلا من عمل بها ورأى واجباتها ومقتضياتها، وقد جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- بإسناد لا بأس به أنه قال: "مثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا يُنفق منه في سبيل الله -عز وجل-".

وقال عمر بن الخطاب: "لا يغرركم من قرأ القرآن، ولكن انظروا من يعمل به".

وقال حبيب بن عبيد للرحبي: "تعلموا العلم، واعقلوه، وانتفعوا به، ولا تتعلموا لتتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم العمر أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه".

وقال أبو قلابة: "إن أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة، ولا يكن إنما همك أن تحدث به الناس".

وقال الحسن: "همة العلماء الرعاية، وهمة السفهاء الرواية".

وقال الفضل بن عياض: "لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً".

وقال مالك بن دينار: "العالم الذي لا يعمل بعلمه بمنزلة الصفا إذا وقع عليه القطر انزلق عنه"، وقال: "تلقى الرجل ما يلحن حرفاً، وعمله لحن كله".

وقال أيوب: "لا خبيث أحبث من قارئ فاجر"، أي: من متعلم فاجر.

وقال الأوزاعي: "أثبت أنه كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة

مناظرة بين العلم والعقل

علم العليم وعقل العاقل اختلفا*** من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا

فقال العلم أنا أحرزت غايته*** وقال العقل أنا الرحمن بي عرفنا

فأفصح العلم إفصاحاً وقال له*** بأينا الرحمن في قرآنه اتصفنا

فبان للعقل أن العلم سيده*** فقبل العقل رأس العلم وانصرفنا

فضل العلم على نوافل العبادات

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع » رواه الحاكم في المستدرک (171/1 رقم 317) والطبراني في الأوسط (196/4 رقم 3960) وأخرجه الحاكم (171/ رقم 315) من طريق آخر عن سعد بن أبي وقاص وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "مَجْلِسُ فِقْهِ حَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً". وقال الزهري: تعلم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة. وقال الحسن - رحمه الله - : لأن أتعلّم بابًا من العلم فأعلّمه مسلمًا، أحبُّ إليّ من أن يكون لي الدنيا كلها، فأنفقها في سبيل الله (مفتاح دار السعادة) (118/1)

معاشر المؤمنين: لقد كان سلف الأمة يفضلون تذاكر العلم ومدارسته على جميع أنواع العبادات النافلة، حتى على قيام الليل وجاءت روايات عن السلف الصالح رضي الله عنهم تبين لنا فضل العلم عن نوافل العبادات ويمكن تقسيم ذلك إلى

فضل العلم على قيام الليل قال ابن عباس - رضي الله عنه - : مُذَاكِرَةُ الْعِلْمِ سَاعَةٌ حَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ. المدخل إلى السنن الكبرى (1/305 رقم 459) وفي لفظ آخر " تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها ". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لأن أفته ساعة أحب إلي من أن أحيي ليلة أصلها حتى أصبح. وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إلي من قيام ليلة (ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء: ج 2 ص (311-313)

فضل العلم على صلاة التطوع عن أبي ذرٍّ وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالوا: "بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ نَدَّ تَعَلَّمُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَلْفِ رُكْعَةٍ تَطَوُّعٍ، وَبَابٌ مِنَ الْعِلْمِ نُدْعَلُّهُ - عُمِلَ بِهِ، أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ - أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ مِائَةِ رُكْعَةٍ تَطَوُّعًا تَذَكُّرَةَ السَّامِعِ وَالْمَتَكَلِّمِ

(قال ابن وهب: «كنت بين يدي مالك - رضي الله عنه - فوضعت ألواحي وقمت أصلي. فقال: «ما الذي قمت إليه بأفضل ممّا قمت عنه - يعني قام لصلاة النافلة-) * « مدارج السالكين (2/47) ». وعن سفيان الثوري والشافعي - رحمهما الله - قالوا: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم (تذكرة السامع والمتكلم) وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

رَحِمَهُ اللهُ -: "طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ الْعِلْمَ خَيْرَ فِيهِ، فَلَا يَكُنْ بِبَيْتِكَ وَبَيْتِنَا مَعْرِفَةً وَلَا صِدَاقَةً"

فضل العلم على الجهاد قال أبو هريرة - رضي الله عنه: لأن أعلم بابًا من العلم في أمرٍ أو نَهَى أحبُّ إليَّ من سبعين غزوة في سبيل الله (مفتاح دار السعادة (118/1)) قال ابن القيم: وَ هَذَا إِنْ صَحَّ فَمَعْنَاهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَبْعِينَ غَزْوَةً بِلَا عَمَلٍ لِأَنَّ الْعَمَلَ بِلَا عِلْمٍ فَسَادَهُ أَكْثَرُ مِنْ صَلَاحِهِ أَوْ يُرِيدُ عِلْمًا يَتَعَلَّمُهُ وَيَعْلَمُهُ فَيَكُونُ لَهُ أَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَذَا لَا يَحْصُلُ فِي الْعَزْوِ الْمُجَرَّدِ. (مفتاح دار السعادة (118/1))

قال الشيخ راشد الزهراني حفظه الله: وطلب العلم وتحصيله أفضل من نوافل العبادات وذلك من ستة أوجه:
أن نفع العلم عام ونفع العبادة قاصر على صاحبه.

أن العبادة تفتقر إلى العلم فلا يستطيع الإنسان أن يصلي إلا إذا تعلم كيف يصلي، ولا يصوم إلا إذا تعلم كيف يصوم، ولا يزكي إلا إذا تعلم كيف يزكي، ولا يحج إلا إذا تعلم كيف يحج.
الآيات والأحاديث التي تبين فضل العلم ومكانة أهله.

أن نفع العلم مستمر بعد موت صاحبه، بينما العبادة تنقطع بانقطاع صاحبها من هذه الحياة.
أن في العناية بالعلم الشرعي والمحافظة عليه وطلبه، فيه بقاء لشرعية محمد صلى الله عليه وسلم ولا شك أن الذي يقوم بحفظ هذه الشريعة يعتبر من المجاهدين في سبيل الله.

أن بعض العلماء عدّ فروض الكفاية أفضل من فروض الأعيان والسبب أن الذي يقوم بفرض الكفاية فإنه يُسقط الإثم عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فلذلك الذي يقوم بتعلم العلم يسقط الإثم عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

حرص السلف الصالح على طلب العلم (صور ونماذج مشرقة)

عباد الله: لقد كان سلف الأمة يقدمون طلب العلم على الأكل والشرب والتلذذ بالنساء، لضيق وقتهم وحرصهم على إدراك العلم.

وأسوق لكم صوراً ونماذج مشرقة من حرص السلف الصالح على طلب العلم، وسأترك لكم التعليق والتعقيب عليها، لتقارنوا بين حالهم والإمكانات والأدوات الكتابية التي عندهم وبين ما نحن فيه من تقدم علمي وتكنولوجي!! ورثي مع الإمام أحمد العالم الجليل محبرة وقلم فقيل له: أنت إمام المسلمين ولا زلت تحمل المحبرة وتكتب؟! فقال الإمام أحمد: "مع المحبرة إلى المقبرة." وقيل للشافعي: "كيف حرصك علي العلم؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال. فقيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره" وقيل للشعبي - رحمه الله -: من أين لك هذا العلم؟! فقال: "بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجمال، وإن النفوس كلها الغراب" الشيء وطمعت فيه هانت دونه المصائب كلها، ومن حكمة الله تعالى أن جعل دون العلم المشقة والتعب. أخرج مسلم في صحيحه عن يحيى بن أبي كثير قال: "لا يستطيع العلم براحة الجسد".

وها هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - يقول: "بلغني عن رجل من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - حديث لم أسمعه، فاشتريت بعيراً وشدت عليه رحلي وسافرت إليه مدة شهر إلى الشام".

ها هو الإمام بقي بن مخلد - رحمه الله - يرحل من بلاده بالأندلس - وهي إسبانيا الآن - إلى بغداد لطلب العلم على يدي الإمام أحمد بن حنبل، كل ذلك على قدميه.

بل كانوا - رحمهم الله - يضحون بأنفسهم في سبيل طلب العلم، فهذا عمر بن عبد الكريم الرّواصي - رحمه الله - سقطت أصابعه في الرحلة في طلب العلم من شدة البرد.

عباد الله: قالوا قديماً: "إن العلم إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً"، قال إسحاق بن إبراهيم: "كان الحافظ المنذري لا يخرج من المدرسة التي يدرس فيها، لا لعزاء ولا لهناء ولا لفرح ولا لغير ذلك، بل يستغرق كل الأوقات في العلم". وقيل لرجلٍ: من يؤنسك؟ فضرب بيده إلى الكتب، وقال: هذه؛ فقيل: من الناس؟ فقال: الذين فيها. "

وكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل، ناصر السنة، -رحمه الله- يحمل الكتاب في كُمه أو في مكان آخر من فإذا قام من بين يدي المتوكل لبعض حاجاته -لقضاء حاجة أو للصلاة- أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي، حتى يبلغ الموضوع الذي يريده، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه، إلى أن يأخذ مجلسه، فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة، الكتاب من كُمه أو من موضعه الذي هو فيه، وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده.

قال ابن الجوزي: "وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره من قبل فكأنني وقعت على كنز، وإن كنت قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب".

كان السلف لا ينامون في سبيل تحصيل العلم

ضرب أئمتنا أروع المثل فلهم في كل نوع صبر نصيب، فحازوا بذاك المعلى والرقيب، ولولا أن الله حبب إليهم المكاره في طلب العلم، وتحصيله، وأيدهم بروح منه ما كان ليعرف للعلم شرف، أو فضيلة أو كان ليكون للأنبياء ورثة. . . ، أو أن يكون للعلم حملة يحملونه، فتركوا لنا بذلك أعظم الأثر وأطيبه، وخير ما يرثه بشر عن بشر، فله عزائمهم، والله هممهم رحمهم الله ورضي عنهم.

قيل لبعضهم: بما أدركت هذا العلم؟ قال: بالمصباح والجلوس إلى الصباح.

وهذا إمام الدنيا في زمانه أبو عبد الله البخاري -رحمه الله-، كما يحدث عنه تلميذه ابن أبي حاتم -رحمه الله- قال: "كنت معه في سفر، وكان يجمعنا سقف واحد، فكان يضطجع على فراشه لينام، فتمر بخاطره الفائدة فيقوم من فراشه ويأخذ القداحة، ويوقد السراج ويخرج أحاديثه فيعلم عليها، ثم يطفئ السراج ويضطجع لينام، فتمر به الفائدة فيقوم، هكذا دأبه، يصنع ذلك في الليلة الواحدة من خمس عشرة إلى عشرين مرة، فكان يصلي بالسحر ثلاثة عشر ركعة".

قال أبو إسحاق المرادي: "جاورت الحافظ المنذري -رحمه الله- ثنتي عشرة سنة، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي في ساعة من ساعات الليل، إلا وجدت ضوء المصباح في بيته، وهو مشغول بالعلم، حتى كان في حال الأكل والكتب عنده يشتغل فيها".

بَقْدَرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي ** وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ سَهَرَ اللَّيَالِي

تَرْوُمُ الْعِزِّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا ** يُخَوِّضُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وَمَنْ رَامَ التُّعْلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ** أَضَاعَ العُمَرَ فِي طَلَبِ المَ حَالِ
فَسَلَّمَ التَّعْلَمَ صَعْبَ لَا يَصْعَدُهُ إِلَّا صُبْرُ الرِّجَالِ فَمَنْ رَامَ العِلْمَ سَعَى لَهَا سَعِيهَا وَجَدَّ وَكَدَّ، وَإِلَّا كَانَ كَمَا قِيلَ:
وَمَنْ رَامَ التُّعْلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ** أَضَاعَ العُمَرَ فِي طَلَبِ المَ حَالِ

أيها الناس: لقد كان سلفنا الصالح يبيعون أغلى ما يملكون في سبيل تحصيل العلم

لقد كان السلف يبيعون ما يملكون لينالوا شيئاً من العلم، قال مالك: "لا ينال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر".
و قال ابن القاسم -رحمه الله-: "أفضى طلب العلم بالإمام مالك إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه ثم مالت إليه الدنيا، أي رزقه الله".

وقال هشام بن عمار -رحمه الله-: "باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً وجهزني لطلب العلم والحج".

أيها المؤمنون: لقد ملأ العلم قلوبهم حتى إن بعضهم ليبع ثوبه الذي يستره لينال العلم: (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف: 26]. جاء في ترجمة أبي جعفر أحمد القصري -رحمه الله-: "وكان ربما باع بعض ثيابه واشترى بثمنها كتباً أو ورقاً لنسخ كتاب".

قال علي بن حرب: "أتينا الإمام زيد بن الحباب لنطلب عليه العلم، فلم يكن له ثوب يخرج فيه إلينا، فجعل الباب بيننا وبينه حاجزاً وحدثنا من ورائه".

وقال عمر بن حفص: "فقدنا الإمام البخاري -رحمه الله- أياماً من كتابة الحديث بالبصرة"، قال: "فطلبناه فوجدناه في بيته وهو عريان، وقد نفذ ما عنده، ولم يبق مع شيء، فاجتمعنا فاشترينا له ثوباً فخرج معنا".

وهذه أمّ سفيان الثوري -رحمها الله- مربية واعية تجلّي لابنها وللأجيال الهدف من التعليم وقيمة التربية، تقول أمّ سفيان الثوري الذي غدا في عصره علماً وبين أقرانه نجماً ساطعاً: يا بني، خذ هذه عشرة دراهم، وتعلم عشرة أحاديث، فإذا وجدتتها تُغيّر في جلتك ومشيكتك وكلامك مع الناس فأقبل عليه، وأنا أعينك بمغزلي هذا، وإلا فاتركه، فإني أخشى أن يكون وبالاً عليك يوم القيامة. يا الله! أين نحن من كلمات هذه الأم الواعية المدركة لغرض التعليم؟

أيها الناس: لقد كان سلفنا الصالح يجوعون ويظمئون في سبيل تحصيل العلم

قال النضر بن شميل -رحمه الله-: "لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه".

وقال ابن خراش: "شربت بولي أثناء الرحلة لطلب العلم خمس مرات"، وقال البخاري -رحمه الله-: "تأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول حشيش الأرض وأنا في طلب العلم".

وليس هذا فحسب؛ بل إن ساعات الأكل لقوام حياتهم ومعاشهم كانت ثقيلة عليهم، فقد سألوا الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله -: ما هي أثقل الساعات عليك؟ قال: ساعة أكل فيها. فالله أكبر ما أشد الفناء في العلم عنده؟! وما أوقد الغيرة على الوقت لديه؟!!

قلت متعجباً: أثقل ساعات عليه ساعة الأكل؛ مع أنه مباح وواجب لقوام الحياة وحفظ النفس؛ وما يتوصل به إلى الواجب فهو واجب، فكيف حالنا ونحن نُضَيِّعُ أوقاتنا في الفراغ والحرام وأمام المسلسلات والأفلام وعلى القهاوي والطرفات، وعلى النت والمعاكسات؟!!

وَكَانَ دَاوُدُ الطَّائِي يُشْرَبُ الفَتِيْتِ وَلَا يَأْكُلُ الخُبْزَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: بَيْنَ مَضْغِ الخُبْزِ وَشُرْبِ الفَتِيْتِ قِرَاءَةُ حَمْسِينَ آيَةً «كتاب المجالسة وجواهر العلم»

كان عبيد بن يعيش يقول: "أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث" حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وعن ابن أبي حاتم صاحب الجرح والتعديل يقول: "كنا في مصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ وبالليل النسخ والمقابلة، فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبنا فاشتريناها فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس فلم يمكننا إصلاح هذه السمكة ومضيها إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى على السمكة ثلاثة أيام وكادت أن تتغير فأكلناها نيئة، لم يكن لنا فراغ أن نشوي السمك. ثم قال: "إن العلم لا يستطيع براحة الجسد" (سير أعلام النبلاء)

(ذيل طبقات الحنابلة) فانظر كيف يستغل وقت طعامه وراحته في أعمال فكره فيسطره بعد قضاء حوائجه الشخصية!!!؟

وهناك قصة طريفة للشيخ الألباني - رحمه الله - مع النجّار وباب المكتبة، تبين مدى حرصهم على الوقت، فقد نادى النجّار-نجّاراً من النجّارين ناداه مرةً- قال له أريد أن تقلّب باب المكتبة، بدّل من أن يفتح على الجهة اليمين تجعله يفتح على الجهة الشمال. نظر إليه النجار - يعني ما السرّ؟ قال يا شيخ يعني يمين أو شمال ما المشكلة؟ قال-يعني الشيخ الألباني:-تستطيع؟ قال-النجار- طبعاً أستطيع لكن قل لي ما السبب؟ قال-الشيخ الألباني-أنا وضعت مكتبي هنا فإذا كان الباب يفتح هكذا سأضطر أن أمشي خمس خُطوات زائدة كي أصل إلى المكتب، فأنا أخرج من المكتب خمس صلوات في اليوم والليلة؛ وقد أخرج مشواراً لأغراض البيت أو لمحاضرة أو كذا فهادي سبع مرات كل مرة بين ذهاب وإياب، هادي حوالي ربع ساعة أو ثلث ساعة ضاعت مني، في الأسبوع كم سيضيع؟! في الشهر كم سيضيع؟! لكن إذا فعلنا هكذا تكون رجلٌ في الباب ورجلٌ على المكتب فلا أضيع وقتي.

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُيْتُ بِحِفْظِهِ ----- وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيَّ يَضِيعُ

يقول عبد الرحمن ابن الإمام أبي حاتم الرازي " ربما كان أبي يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه " فكانت ثمرة هذا المجهود وهذا الحرص على استغلال الوقت كتاب الجرح والتعديل في تسعة مجلدات وكتاب التفسير في مجلدات عدة وكتاب السند في ألف جزء.

لهذا فتح الله لهم قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً!!! فإذا كنت تريد اللحاق بهم فاعمل عملهم؛ فالله يسر لك سبل العلم والتقنيات الحديثة ما لم يصل إليه أحدهم، ومع كل ذلك أقول: لا يصل إليهم أحدكم!!! أليس كذلك!!!؟ لهذا الحرص ليس قاصراً على المسلمين فقط، بل اهتم الغربيون به كذلك حتى نهضوا وتدموا به، فقد قرأت عن ألبرت إنشتاين، الفيزيائي الألماني الشهير، أنه من شدة حرصه على العلم والوقت كان لا يلبس الأقمصة بأكمام ذوات أزرار، لأنّ غلقها وفتحها يضيع عليه وقتاً ثميناً في تحصيل العلم!

فيا أيها المعرضون عن طلب العلم! ما هو عُذركم عند الله، وأنتم في العافية تتمتعون؟! وماذا يمنعكم منه وأنتم في أرزاق ربكم ترتعون؟! أترضون لأنفسكم أن تكونوا كالبهائم السائمة؟! أتختارون الهوى على الهدى والقلوب منكم ساهية هائمة؟! أتسلكون طرق الجهل وهي الطرق الواهية، وتدعون سبيل الهدى وهي السبيل الواضحة النافعة؟! إذا قيل لك: مَنْ رَبُّكَ وما دينك ومن نبيك لم تحر الجواب؟! وإذا قيل: كيف تصلي وتتعبد أجبت بغير الصواب؟! وكيف تبيع وتشتري وتعامل وأنت لم تعرف الحلال من الحرام؟! أما والله إنها حالة لا يرضاها إلا أشباه

الأنعام. فكونوا - رحمكم الله - متعلمين، فإن لم تفعلوا فاحضروا مجالس العلم مستمعين ومستفيدين، واسألوا العلم مسترشدين متبصرين، فإن لم تفعلوا وأعرضتم عن العلم بالكلية فقد هلكتم وكنتم من الخاسرين.

أما علمتم: أنَّ الاشتغال بالعلم من أجَلِ العبادات، وأفضل الطاعات والقربات، ومُوجِبٌ لِرِضَى رَبِّ الأَرْضِ والسماوات. ومجلس علم تَجَلِسُهُ خيرٌ لك من الدنيا وما فيها، وفائدة تستفيدها وتنتفع بها لا شيء يزنها ويساويها؟! فاتقوا الله عباد الله، واشتغلوا بما خلقتكم له من معرفة الله وعبادته.

و كانوا يؤثرون طلب العلم على الأهل والزوجة والأولاد.

فها هو ابن القاسم العتكي -رحمه الله- يتزوج بابنة عمه فحملت منه، ثم أراد السفر إلى المدينة ليأخذ العلم عن الإمام مالك، فخير امرأته بين الطلاق أو البقاء حتى يعود، وهو لا يعلم متى تكون عودته، فاختارت البقاء.

قال ابن القاسم: "وأُنخت بباب مالك سبع عشرة سنة ما بعث فيها ولا اشترت شيئاً، فبينما أنا عنده ذات يوم إذ أقبل حجاج مصر، فإذا شاب ملثم قد دخل علينا ونحن في المسجد، فسلم على مالك وقال: أفيكم ابن القاسم؟! فأشاروا إليّ، فأخذ يقبل بين عيني، ووجدت منه رائحة الولد، فإذا هو ابني الذي تركت أمه حاملاً به، قد شب وكبر وصار رجلاً".

وها هو ابن منده -رحمه الله- يرحل من بلده لطلب العلم وعمره عشرون سنة، ولا يرجع إليها إلا وعمره خمس وستون سنة، وكانت رحلته خمسا وأربعين سنة، ثم عاد إلى وطنه شيخاً، فتزوج ورزق الأولاد وحدث بالكثير.

ولله در القائل:

سهري لتفتح العلوم أذلي من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طرباً لحل عويصة أشهى وأحلى من مدامة ساقى

وصرير أقلامي على أوراقها أحلى من الدوكة والعشاق

وأذ من نقر الفتاة لدفها نقرى لألقى الرمل عن أوراقى

يا من يحاول بالأمانى رتبتي كم بين مستفل وآخر من راقى

أبيت سهران الدجى وتبينته نوماً وتبغى بعد ذاك لحاقي (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل:

لعبد الفتاح أبو غدة ص 409.)

أيها المؤمنون: بعد هذه النبذ اليسيرة لأهل العلم التي تبين حرصهم على العلم وأهله، هلاكنا جميعاً من الحريصين على طلب العلم!! فالكتب متوفرة بأحسن الطباعات، والعلماء متوافرون في كل مكان، ولم يبق إلا طلبه من أهله. فاحرص -يا رعاك الله- على تحصيل العلم، واحرص على تنشئة أولادك على ذلك، ألا تحب أن يكون ولدك شيخ بلدك، وعالمهم ومفتيهم.

فضل العلم على المال

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاته، وهمج رعا، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيقٍ، العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو على الإنفاق، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال مَحْكُومٌ عليه، ومحبة العلم دين يُدان بها، العلم يُكسب العالم طاعةً في حياته، وجميل الأحدثه بعد وفاته، وصناعة المال تنزل بزواله، مات خزان المال، وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة) أخرجه أبو نعيم في الحلية (79/1)، وابن عساکر (254/50) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (145/1 رقم 148 وأيضاً 984/2 رقم 1877)

العلم ممدوح بكل لسان، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي الشَّنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَالْمُرَادُ بِالْحَسَدِ هُنَا الْعِبْطَةُ وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَهُ.

وقوله: (لا حسد) أي: لو جاز لأحدٍ أن يحسد أحداً لكان ينبغي له أن يحسد أحد رجلين: إما رجلٌ آتاه الله العلم،

ويرحم الله الإمام أحمد حين كان يقول وهو يشير إلى تفضيل العلماء: (بيننا وبينكم شهود الجنائز). انظروا إلى جنازة أكبر عالم، وإلى جنازة أكبر غني؛ فسترون الفرق هائلاً! فكل الناس يقولون عن الغني: ماذا عمل؟ مسكين. ! انظروا إلى الفلل التي تركها، والأموال، والضياع. هل أخذ معه شيئاً؟ لا يدوم إلا الله، ويتكلمون على الزهد في الدنيا، وأن الرجل مضى ولم يأخذ شيئاً، لكن هل قال واحدٌ منهم: يرحمه الله، أو رضي الله عنه؟ لا، لماذا؟ لأنه كان يحرم الناس من عطائه، جمع ماله للورثة.

لكن انظر إلى الناس في جنازة العالم! سيكون عليه ويحزنون، وليس بينه وبينهم أي نسب ولا أعمال، وما كان بينهم إلا ما تعدى العالم إليه وهو العلم، وإذا ذكروه ترضوا عنه وعن والديه.

فإن جاز لك أن تغبط رجلاً فلا تكن سافل المهمة، فتقول: ليت أن معي كفلان محلات و. و. لا، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، فقد صيرك المال خادماً، وصيرك العلم سيداً. العلم يحرسك من الشبهات التي يلقيها أعداء الله، ومن الكفر الذي يزينه أعداء الله، فكلما وردت عليك شبهة كفر، أو شبهة وسواس صد العلم عنك وعن قلبك، لكن المال أنت تحرسه، لا تنام عينك خشية اللصوص، ولأنك تريد الازدياد منه، كل لحظة يقوم من الليل يعد الفلوس ويرتبها ويفعل ذلك مرات، إذاً: هناك متعة عنده في مسألة عد الفلوس. وهكذا يضع عمره في مثل هذا؛ فصار خادماً، والمال عبد جيد لكنه سيد رديء: (عبد جيد) كما في قوله عليه الصلاة والسلام: (ورجلٌ آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق (أنت السيد، ومعك المال، تنفق المال يمنةً ويسره، إذاً: أنت السيد وهو العبد. . لأنك عندما تنفقه لا يعترض عليك، ولا يقول لك: لم وضعتني في هذا الموضع؟ إذاً: إذا صار المال عبداً صار عبداً جيداً؛ لأنك ستصل به الرحم، وتفرح به الكروب، وتبني به المدارس والمستشفيات، وترصف الطرق. . إلى آخره من أعمال البر والخير المباحة. لكنه إذا استحوذ على صاحبه كان سيئاً رديئاً. فأولى الناس بالغبطة بالحسد هذان: (رجلٌ آتاه الله العلم، فهو يقضي به، أو يعلمه آناء الليل وأطراف النهار، ورجلٌ آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق).

تَعَالَوْا -أَيُّهَا الإخوة- نَنْظُرُ فِي مُقَارَنَةِ يَسِيرَةِ بَيْنِ الْعِلْمِ وَالْمَالِ، لَعَلَّهَا تَرْتَقِي هِمْمَنَا لِنَتَدَارَكَ بَقِيَّةَ أَعْمَارِنَا فِي تَعَلُّمِ دِينِنَا: إِنَّ الْعِلْمَ مِيرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَالُ مِيرَاثُ الْمُلُوكِ وَالْأَغْنِيَاءِ. إِنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُ صَاحِبَهُ، وَصَاحِبُ الْمَالِ يَحْرُسُ مَالَهُ. إِنَّ الْمَالَ تُذْهِبُهُ النَّفَقَاتُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى النَّفَقَةِ وَيَكْثُرُ. إِنَّ صَاحِبَ الْمَالِ إِذَا مَاتَ فَارَقَهُ مَالُهُ، وَالْعِلْمُ يَدْخُلُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي قَبْرِهِ. إِنَّ الْعَالِمَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ فَمَنْ دُونَهُمْ، وَصَاحِبُ الْمَالِ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعَدَمِ وَالْفَاقَةِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ. إِنَّ قِيَمَةَ الْغَنِيِّ مَالُهُ، وَقِيَمَةَ الْعَالِمِ عِلْمُهُ، فَإِذَا عُدِمَ الْمَالُ عُدِمَتِ قِيَمَةُ الْغَنِيِّ، وَالْعِلْمُ لَا يَزَالُ فِي تَضَاعُفٍ. إِنَّ الْعَالِمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ بِعِلْمِهِ وَحَالِهِ، وَجَامِعُ الْمَالِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الدُّنْيَا بِحَالِهِ وَمَالِهِ. إِنَّ الْمَالَ يُمَدِّحُ صَاحِبَهُ بِتَحْلِيهِ مِنْهُ وَإِخْرَاجِهِ، وَالْعِلْمُ إِنَّمَا يُمَدِّحُ بِتَحْلِيهِ بِهِ وَاتِّصَافِهِ بِهِ. إِنَّ غِنَى الْمَالِ مَقْرُونٌ بِالْخَوْفِ وَالْحُزْنِ، فَهُوَ حَزِينٌ قَبْلَ حُصُولِهِ خَائِفٌ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَكُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ كَانَ الْخَوْفُ أَقْوَى، وَغِنَى الْعِلْمِ مَقْرُونٌ بِالْأَمْنِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ

التأدب مع العلماء

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداءً من الكتب، بل لا بد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب، لتأمن من الزلل، فعليك إذاً بالأدب معه، فإن ذلك عنوان الفلاح والنجاح، والتحصيل والتوفيق. فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الأدب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال، والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنباً الإكثار من السؤال لا سيما مع شهود الملاء؛ فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل، ولا تناديه باسمه مجرداً، أو مع لقبه بل قل: " يا شيخي، أو يا شيخنا، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من غير اضطرار 0) حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد (ص:25)

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير صلى الله عليه وسلم في قوله: { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا } سورة النور: 63

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من حقّ العالم عليك إذا أتيتَه أن تسلّم عليه خاصّة، وعلى القوم عامّة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تُلحّ عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المُرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة

وقال الشَّعْبِيُّ: رَكِبَ زَيْدٌ بِنُ ثَابِتٍ فَأَخَذَ ابْنَ عَبَّاسٍ بِرِكَابِهِ، قَالَ لَهُ زَيْدٌ: لَا تَنفَعَلْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا " (المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (4/146 رقم 1314) وجامع بيان العلم لابن عبد البر(1/514 رقم 832) وابن عساكر (19/326)

فانظر إلى أدب ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته ومرتبته.

وقد نبه الله تعالى على أدب المتعلم مع معلمه في قصة موسى والخضر عليهما السلام بقول الخضر لموسى: { إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا } الكهف: 67 فقال له موسى { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا } - الكهف: 69، هذا مع علو قدر موسى الكليم في الرسالة والعلم.

وقال أحمد بن حنبل لخلف الأحمر: لا أقعد إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

ويقال: إن الشافعي رحمه الله عوتب على تواضعه للعلماء، فقال:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها*** ولن تكرم النفس التي لا تهينها

وقال الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها. وقال الربيع: والله ما احترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له (ذكر هذه الأقوال ابن جماعة في تذكرة السامع).

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً .

وعلى الطالب أن يصبر على جفوة قد تصدر من شيخه أو سوء خلق ولا يصدده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته، ويتأول أفعاله - التي يظهر أن الصواب خلافها - على أحسن تأويل.

وينبغي أن يدعو له مدة حياته ويرعى ذريته وأقاربه وأوداءه بعد وفاته، ويكثر من الاستغفار له والصدقة عنه.

حكم الفتوى بغير علم

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ [النحل:116]. والناس في الفتيا على جانبين ووسط؛ فأناس يتطرفون في جانب الفتيا حيث يفتون في كل شيء وفيما لا يعرفون، ليس عندهم سؤال صعب. وطرف آخر بلغ به الورع البارد إلى أن يقول: الله ورسوله أعلم حتى في البديهيات، كم يتمضمض المسلم؟ قال: الله أعلم. كم أركان الإسلام؟ قال: الله أعلم! أين يستقبل المصلي؟ قال: الله أعلم! فهذا ورع بارد أضر بالإسلام. والحكمة التوسط، من أجاد مسألة، وعرف دليلها؛ فليفت على بركة الله

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله يسئل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول. وفي رواية وما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه ^{إلا} الذي لا يعرف يقول: لا أدري،

قالوا لعلي بن أبي طالب وسألوه سؤالاً، قال: [["لا أدري" ما أبردها على قلبي، سئلت عما لا أدري فقلت: لا أدري]].

وسئل ابن عمر في ثمان مسائل، وقال: [[لا أدري، قال أعرابي: أذهب إلى الناس، وأقول: إن ابن عمر لا يدري؟! قال: اذهب إلى من عرفت وقل: إن ابن عمر لا يحسن شيئاً]]

وقال الزهري عن خالد بن أسلم قال: كنا مع ابن عمر رضی الله عنهما فسأله أعرابي أترث العمة؟ فقال ابن عمر لا أدري، قال: أنت لا تدري قال: نعم، أذهب إلى العلماء فاسألهم، فلما أدبر الرجل قبل ابن عمر يده ثم قال نعم ما قال أبو عبد الرحمن سئل عما لا يدري، فقال: لا أدري.

وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب. والإمام مالك عرضت عليه أربعون مسألة، فأجاب في ثمان، وقال في اثنتين وثلاثين مسألة: لا أدري.

وقال الشعبي: [[لا أدري نصف العلم]] ومن لا يستخدم كلمة: لا أدري؛ فقد أصيبت مقاتله، وإذا أراد الإنسان أن يفتي؛ فليتذكر الله عز وجل والعرض بين يديه، وليعرف أنه سوف يحلل الفروج أو يحرمها، والدماء أو الأموال، ولذلك قال ابن القيم: "المفتون هم الموقعون عن رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

والتعاليم مرض خطير. . وداء عظيم. . وهو عتبة الدخول للفاجرة الجائرة ألا وهي "القول على الله بغير علم" نعوذ بالله من الخذلان والمتعاليم هو الذي تزيب قبل أن يتحصروا، وأدعى العلم قبل أن يتعلم.

ولكننا نرى بعض المنتسبين إلى العلم، يأنف من رد المستفتي والسائل بلا جواب ويتجراً على القول على الله بلا علم، بل تراه وسبحان الفتح العليم يشرع في الجواب قبل أن ينتهي السائل من السؤال، ويفتي فيما يتوقف فيه شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام. بل ويفتي في المسألة التي لو عرضت على عمر بن الخطاب رضی الله عنه لجمع لها أهل بدر.

وما يراد بهم هنا إلا المتعاليم الذين ناموا عن العلم وادعوه، وبالغوا قبل أن يبلغوا، وهذا الصنف الذي يدعى العلم ويقول في دين الله بغير علم، وبغير دليل، تستهوية الشهرة ويجره هذا الداء الخطير إلى كل شر وهلاك وضلال وإضلال، فلا يتورع أن يرد على أي سائل، وفي أي مسألة وأن يتعرض لكل فتوى.

وقديماً قالوا: إن رجلاً كان يفتي كل سائل دون توقف، فلحظ أقرانه ذلك منه، فأجمعوا أمرهم لامتحانه فاختلقوا كلمة ليس لها أصل لبيئوا للناس كذبه وضلاله. فاختلقوا كلمة "الخنفسار" فذهبوا إليه وسألوه عنها.

فأجابهم على الفور قائلاً:

الخنفسار: نبت طيب الرائحة ينبت بأطراف اليمن إذا أكلته الأبل عقد لبنها كما قال شاعرهم اليماني:

لقد عقدت محبتكم فؤادى *** كما عقد الحليب الخنفشار

ثم قال وقال داود الأنطاكي في تذكّره الخنفشار كذا وكذا قال فلان وفلان. ثم يتبجح ويقول والخنفشار قال عنه النبي ρ فاستوقفوه، وقالوا كذبت على هؤلاء، فلا تكذب على رسول الله ρ ، وتحقق لديهم أن ذلك المسكين جراب كذاب عياب، نسأل الله لنا ولكم السلامة.

وما زال الناس يبتلون بهذا الطراز النكد من الخنفشاريين في كل زمان ومكان.

وبعد. . .

فهذا آخر ما تيسّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبّلها منّا بقبول حسن، كما أسأله I أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان علي إخراجها ونشرها. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخلا جلا من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المراجع: -

- 1) سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟» تحت عنوان «ورثة الأنبياء؟» عبد الملك بن محمد عبد الرحمن القاسم
- 2) خطبة بعنوان: تذكير الأنام بمنزلة العلم وحرمة الغش في الإسلام د / خالد بدير بدوي
- 3) سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر
- 4) العلم والتعليم (1) فضل العلم والعلماء - مشكولة للشيخ إبراهيم بن محمد الحقييل
- 5) العلم والتعليم (2) ذم الجهل وأهله - مشكولة للشيخ إبراهيم بن محمد الحقييل
- 6) مَوْسُوعَةٌ نَضْرَةَ النِّعِيمِ فِي مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- 7) إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى 505 هـ
- 8) العلم فضله وآدابه ووسائله لفضيلة الشيخ العلامة / عبدالله الجبرين
- 9) محاضرة الإنجاز العلمي في حياة الرسول للشيخ عائض القرني
- 10) إتحاف النبلاء بفضل العلم والعلماء إعداد د 0 أحمد عرفة
- 11) إتحاف الطلاب بفضائل العلم والعلماء إعداد / د: أحمد عرفة
- 12) لحوم العلماء مسمومة الشيخ العلامة "ناصر بن سليمان العمر"
- 13) فضل العلم والعلماء الشيخ ناصر بن محمد بن مشري الغامدي
- 14) صور من حرص السلف على طلب العلم خالد بن عبد الله الشايع
- 15) العلماء ودورهم في الأمة عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي
- 16) أخلاق العلماء وأثرها في الأمة للشيخ عبد العزيز بن باز
- 17) مكانة العلماء - معالم وضوابط محمد بن عدنان السمان
- 18) محاضرة فضل العلم وشرفه 1 للشيخ أبو إسحاق الحويني
- 19) الحاجة إلى العلماء الربانيين للشيخ أبو إسحاق الحويني
- 20) استثمار الوقت عند العلماء للشيخ أبو إسحاق الحويني
- 21) توفير العلماء من سمات أهل السنة خالد سعود البليهد

- 22) فضل العلم والحث على طلبه الشيخ محمد الشرافي
- 23) ولو أن أهل العلم صانوه صانهم!! عبد الله البصري
- 24) العلم وأثره في الأمة الشيخ صالح آل طالب
- 25) العلم إثارة فكر وعقل الدكتور/ إبراهيم الدويش
- 26) صفة الجنة لفضيلة الشيخ / علي عبد الخالق القرني
- 27) كتيب منزلة العلماء من موسوعة الكتيبات الإسلامية
- 28) فضل العلم وخطورة التعامل للشيخ محمد حسان
- 29) حق العالم على المسلم للشيخ محمد المنجد
- 30) العلم طريق إلى الجنة إعداد السيد مختار
- 31) من هم العلماء؟ للشيخ عبد السلام البرجس
- 32) أهمية العلم والعلماء مصطفى بن سعيد إيتيم
- 33) العلماء ما لهم وما عليهم للشيخ عائض القرني
- 34) العلماء ورثة الأنبياء أحمد بن حسين الفقيهي
- 35) رحيل العلماء للشيخ عبد الرحمن السديس
- 36) فضل طلب العلم ومكانته خالد الشايع
- 37) الوقت وأهميته للشيخ نبيل العوضي
- 38) فضل العلماء للشيخ محمد القطاوي
- 39) العلم الشيخ ناصر بن سليمان العمر